منير مرعي

أنا

حقاً... خائف!

ببطءٍ فتح السيّد سلام باب سيّارة الأجرة، حمل حقيبة الظّهر خاصّته و ناول الأجرة للسّائق ونزل من السيّارة. كان السيّد سلام يعيش في شقّة صغيرة في السّكن الجامعي، صعد السلّم إلى شقّته في الطابق الثالث، أخرج مفتاح الشقّة من حقيبته وأدخله في قفل الباب و فتحه، دخل إلى شقته، كان منهكاً...ومشتّت التفكير، أراد بشدّة أن يستلقي على سريره الخشبي، ليريح جسده وعقله. خلع حذائه ووضعه جانباً، وألقى حقيبته في زاوية الغرفة، كانت شقّته تتكون من غرفة واحدة صغيرة باهتة الدهان، وحمام ضيّق، كان سريره على اليمين من المدخل، سرير خشبيّ بجانبه مكتب صغير يستخدمه للمذاكرة و القراءة أحياناً، و بجانب المكتب مرآة طويلة ذات إطار معدني. ويقابل المدخل مطبخ صغير بسيط، يحتوي فرناً وثّلاجةً صغيرة. لم تكن هنالك سوى نافذةٍ واحدةٍ متموضعةٍ فوق سريره، و

فوقها ستارةٌ بيضاء متسخة. خلع سلام ملابسه كاملةً...نظر إلى نفسه في المرآة...وسرت في جسده رعشة جعلته يركع على ركبتيه...ثم فقد وعيه! استيقظ سلام وهو يشعر بالدوار الشديد...أحسّ...أحسّ أنّ شيء ما قد تغيّر! لم يعلم ما هو...ولكنه كان متيقّنا أن شيئاً ما قد تغيّر بالتأكيد! قام ببطء ونظر حوله في ريبة، كانت شقته لا تزال كما هي، كل شيء في مكانه، نظر سلام إلى سريره..وقد بدى له أنه أعرض قليلاً..أو ربما كان يتخيّل فحسب. ارتدى ملابس النّوم واستلقى على سريره، كان صوت في عقله يخبره بألّا يغمض عينيه، ولكنّه كان متعباً جداً، حاول منع نفسه من النوم استجابةً للصوت في عقله..ولكن سرعان ما غلبه النوم وغطّ في نوم عميق. فتح سلام عينيه ببطء، كان قد أحسّ بأن جسده رطب، فتح عينيه وصرخ فزعاً! لقد كان في منتصف البحر! كان الظلام حالكاً والمياه تحيطه من

كل جانب، لم يكن السيّد سلام يستطيع تحريك أي عضو من أعضاء جسده سوى رأسه، ينظر حوله وقد تملكه الخوف الشديد، لم يكن هنالك شيء على مدى بصره سوى المياه، وفجأة! بدء يغوص ببطء إلى الأسفل، كانت قوّة مجهولة تسحبه نحو الأسفل ببطء، لم يتسطع المقاومة، كان جسدة متصلبا! استمر في الغوص..أخذ نفساً وكتمه، أصبح جسده كاملاً تحت الماء، كان الماء مظلماً جدا، لم يدرك بصره شيئاً غير الظلام! لم يعد السيّد سلام يتحمّل..كان عليه أن يأخذ نفساً...ولكن أنّى له أن يفعل ذلك..فهو تحت الماء الآن! حاول سلام إمساك أنفاسه قدر المستطاع..ولكنّه لم يعد يحتمل أكثر، فتح فمه وبدء الماء يتسرّب إلى رئتيه..إنه يختنق! استيقظ السيّد سلام وهو يلهث جزعاً! قام من سريره وهو ممسك بحنجرته بشدّة..استمر يلهث حتّى هدئ قليلاً، ثم..تنبّه لشيء

غريب..شيء مخيف! لقد كان جسده مبتلاً بالكامل! من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. نهض عن سريره مسرعاً و توجه نحو المرآة الطويلة، نظر إلى جسده الذي كان مبتلّاً بالكامل، أمسك برأسه بين يديه وبدأ يضغط عليه بشدّة...ثمّ...هل..هل لمح السيّد سلام رجلاً ينظر إليه من النافذة؟! أو أنه كان يتخيّل فحسب..كان خائفاً من النظر نحو النافذة. ثم تشجّع وبسرعة أزاح رأسه ونظر إلى النافذة..وأطلق زفرة تنم عن الرّاحة. طق..طق! أحد ما يطرق الباب! ولكن نحن في منتصف الليل! من الذي يطرق باب السيد سلام في منتصف الليل؟! أحسّ السيّد سلام بالخوف الشّديد، لم تطاوعه نفسه على أن يسأل من الطارق، اختار عقله الحلّ الّذي سيخطر لنا جميعاً..أن يمثّل أنه نائم! وعندها يغادر هذا الغريب بسلام، ولكن..خطرت ببال سلام فكرةٌ أرعبته حقّاً! كان يتسائل..هل أغلق باب شقّته؟! هذا السؤال الّذي

يراودنا جميعاً..هو الآن مسئلة مرعبة بالنسبة للسيّد سلام. قال السيّد سلام في نفسه:

"نع..نعم..لقد أغلقته..أنا أتذكر هذا جيّداً". ولكنّه قد قرأ يوماً عن ظاهرة "الذاكرة الزائفة" فبدأ الصراع داخل عقله. طق..طق! استمر الطرق ببطء على الباب وسلام لم يحرّك ساكناً، كان خائفاً من أن يصدر أيّ صوت..ليظن الطّارق أن الشقّة خالية! تفائل السيّد سلام بتلك النظريّة. ولكنّ هذا التفاؤل لم يدم طويلاً!

"هيّا يا سلام..أنا أعرف أنك في الداخل..يمكنني أن أراك..أنت جالس في وسط الغرفة..ترتجف..ترتجف خوفاً..ها ها ها". قال الطارق بصوت مخيف فيه رنّةٌ معيّنة، وكأنه يغنّي أغنية مخيفة! ارتعد بدن سلام بشدّة، تراجع ببطء نحو زاوية في المطبخ الصغير، يمكنه من هناك رؤية جميع أطراف الشقّة الصغيرة، كانت يداه ترتعشان بشدّة، فتح إحدى الأدراج دون أن يغادر مكانه،

تناول منه سكّيناً، وأمسكه بكلتا يديه وضغط عليه. كان لا يزال يرتجف بشدّة.

"أوه أوه، أتريد قتلي يا سلام، حسن إذاً، سأحاول فتح الباب..ببطء شديد". قال الطّارق مستهزئاً.

صرخ سلام بأعلى صوته:

"إياك أن تفعل! أنا أحذرك! لن أتردد في طعنك! أنا أحذرك!".

ردّ الرجل المخيف بصوت هادئ:

"آه..فالباب مفتوح إذاً..ها ها ها..سأدير المقبض..أمسك السكّين جيّداً..استعد".

بدء المقبض بالدوران ببطء شديد..كان سلام يتعرق بشدّة من فرط التوتر، كان موقفاً كالّذي في الكوابيس تماماً! فتح الباب بالكامل! أغمض سلام عينيه واندفع نحو الباب والسكين في يديه..وبدأ بالصراخ! ثمّ استيقظ ليجد نفسه ممدّداً على سريره الخشبي. نظر حوله

ببطء..كان باب الشقّة مغلقاّ..هرع نحوه بسرعة ليتأكد من أنه مغلق بالمفتاح، كان مغلقّا بالفعل.

"إذا كان ذلك مجرّد كابوس لعين!". قال سلام بغضبٍ شديد.

تقّدم نحو سريره..رفع الغطاء..ثم صرخ هلعاً! لقد كانت السكّين ملقاة على السرير..السكّين نفسها الّتي كانت في الكابوس!

"مالذي يحدث لي! ما هذا! هل..هل أنا في كابوس آخر الآن؟!". قال سلام ثم بدء يضرب وجه وهو يردّد:

"استيقظ أيها الأحمق! استيقظ هيّا!".

طق..طق! عاد الطرق مجدداً! ولكن هذه المرّة كان سلام قد سئم الأمر، كان لا يزال يشعر بالخوف ولكنه قد وصل إلى حدّه! أمسك السكّين وتقّدم نحو الباب بخطى ثابتة، أدار المفتاح ببطء..ثم فتح الباب وبسرعة لوّح بالسكين في محاولة للدفاع عن نفسه..ولكن..لم يكن

هناك أحد أمام الباب! تسمّر سلام في مكانه للحظات...ثمّ أغلق باب شقّته وعاد إلى سريره. لم يستطع النوم، لقد كان..خائفاً! كان يستيقظ جزعاً كلما غفى قليلاً. بدأ رأسه يؤلمه بشدّة، قرّر أن يعّد لنفسه شيئا يأكله، قام من سريره ببطء، تقدم نحو الثلاجة الصغيرة، أخرج منها بيضتين ووضعهما على الطاولة الرخاميّة، ثم رفع رأسه وفتح خزانة أخرج منها مقلاة صغيرة و...واختفى البيض! نظر حوله باحثاً عن البيض، ولكنّه لم يجد له أثراً! بدأ يصرخ حوله بجنون:

"من أنت؟! هل تمزح معي؟! أرجوك أن تتوقف..أنا لم أعد أحتمل أكثر! هل تريد شيئاً؟! سأفعل لك ما تريد ولكن توقف عن هذا أرجوك! لم أعد أحتمل!".

جلس سلام على الأرض..وبدأ بالبكاء! ثم سمع صوت في عقله يقول:

"هل أنت خائف حقاً؟ أثبت ذلك!".

وفي تلك اللحظة..بال السيّد سلام على نفسه لا إراديّاً!

قام ببطء وتوجه نحو المرآة الطويلة، نظر إلى نفسه ودار في عقله سؤال..متى بدأ كل هذا؟! كان يعرف الإجابة مسبقاً، ولكنها كانت غائبة عن ذهنة!

وقف أمام المرآة الطويلة...خلع ثيابه كاملةً...وكما توقّع تماماً...سرت في جسده رعشة جعلته يركع على ركبتيه...ثم فقد وعيه! و عندما استيقظ أحسّ أنّ كلّ شيء قد عاد طبيعياً! لم يكن هنالك بيض أو سكاكين أو صوت طرق على الباب. لقد عاد كل شيء كما كان...تقدّم السيد سلام نحو المرآة الطويل وبدأ يضربها بقبضتيه حتى سال الدم منهما! ثم حملها ببطء وألقاها من النافذة!

-النهاية-